

فأنت مع عجوز ماكرة أفنت حياتها فى مراسم كيد النساء ودهاء الرجال . وتضحك ضحكة فتعرض لك وجهها لا يصلح لغير الشهوات ، وضحكة أخرى ، وقد تكون على أثر الأولى - فذاك عقل يضحك ولب يسخر ، كما تسخر عقول الفلاسفة وألباب الشيوخ المحنكين .

هى تارة أم رءوم تفيض بحنان الأمهات حتى ليوشك أن تسع به أطفال العالمين ، وحسبك أن ترسمها هكذا ولا تضع فى أحضانها طفلاً يرضع ولا إلى جانبها طفلاً يدرج ، لتستحق الصورة عنوان الأمومة .

وهى تارة أخرى شريفة بوهيمية لم تستقر قط فى دار ولا وطن ، وما استقرت قط مع عشيق .

لها صورة إلى جانب سرير لو نحيث عنها السرير جانباً لمثلت لك راهبة خاشعة تهتم بالصلاة ، أو ضحية من ضحايا الآلهة تساق إلى محراب القربان .

ولها صورة على سفح الهرم لو أخفيت منها الهرم لخلتها حورية مخمورة فى أرض يونان القديمة تهتم بالرقص فى كروم باخوس .

وكان همام يراقب هذه الشخصوص ويتصفح هذه الوجوه وهو مغتبط تارة ومشفق تارة أخرى ، ويعزو قلبها واطرادها إلى الفتوة الحية التى لم تحبس فى محابس الأفكار والعادات والتقاليد ، فهى أبداً فى أيدي العواطف والنوازع كعجينة الخلق المهيأة للصوغ والتركيب فى كل ساعة .

وخطر له أن ينشئ حولها رواية مسرحية هى جميع أبطالها وهى البطل الوحيد فيها ، تدور محاوراتها على المثال الآتى :